مواقف سكان الجنوب الجزائري من مشروع السياسة الاستعمارية الفرنسية فصل الصحراء عن شمال البلاد

الدكتور: الزين محمد

جامعة جيلالي ليابس– سيدي بلعباس

1– أهمية الصحراء في الاستراتيجية الفرنسية:

تُعد الصحراء الجزائرية من المحاور الأساسية في الاستراتيجية الفرنسية من جميع النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية، ويبدو ذلك من خلال الاهتمام المتزايد والمضطرد بها، فمن سنة 1902 إلى سنة 1957 كانت الصحراء الجزائرية مقسمة إلى أربعة مناطق هي: غرداية، تقرت، الواحات، عين الصفراء وتغير هذا النظام من سنة 1957 حتى سنة 1962 حيث أصبحت الصحراء تنقسم إلى عمالتين (ولايتين) هما الواحات ومركزها الأغواط والساورة ومركزها بشار[1].

وقد كانت في المرحلة الأولى تابعة للحاكم العام بالجزائر يحكمها باسم فرنسا، والسبب المباشر لاحتلال هذه المناطق ومنها إقليمي توات وتيديكلت هو الحاجة إلى تغطية النفقات الباهظة التي استنفذت في تمويل الحملة العسكرية.[2]

ويعتبر قانون 24 ديسمبر 1902 معدلا عن الصيغة الأولى نظرا لتحفظات ومخاوف المستوطنين حيث جاء مستجيبا لجملتها، وتتلخص هذه المخاوف في:

1– فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية سلسلة الملتقيات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ص143.

2 C.N.A Gouvernement général de l'Algérie, commissariat générale du Centenaire, les territoires du sud de l'Algérie, deuxième partie : l'œuvre accomplie du 1ier Janvier 1903 au 31 Décembre 1929, Alger, imp. Algérienne .1929, pp 43-44.

- الخوف من هذا التنظيم الجديد في المناطق الجنوبية الذي يهدد الإدارة المدنية في الشمال، ما قد يؤدي إلى تصفيتها لصالح الحكم العسكري.
- الخوف من محاصرة حركة الاستيطان الأوروبي وغلق أبواب الجنوب أمامها.
- الخوف من تحمل خزينة مستعمرة الجزائر نفقات القوات المتمركزة في الجنوب.[1]

وقد جاء القانون من أجل:

- التقليل من نفقات الاحتلال العسكري بالجنوب.
- الموازنة بين النفقات المدنية والمواد المحلية.
- اعتماد أساليب حكيمة في إدارة هذه المناطق والدفاع عنها.[2]

وحسب النصوص والمواد المحددة لصلاحيات واختصاصات الحاكم العام على الجزائر بهذه الأقاليم، فإن تقسيم الصحراء الجزائرية يكون إلى أربعة أقاليم هي:

إقليم عين الصفراء، إقليم الواحات، إقليم غرداية وإقليم تقرت، وتخضع لنظام الأقاليم القيادية حيث يوجد على كل إقليم منها قائد عسكري معين بمرسوم، ومما يميز هذه الإدارة الجديدة ازدواجيتها، حيث أوحت بوجود إدارة

1قنان جمال، قضايا ودراسات في قانون الجزائر الحديث والمعاصر، الجزائر منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1994، ص148.

2C.N.A Gouvernement général de l'Algérie, commissariat générale du Centenaire, les territoires du sud de l'Algérie, deuxième partie : l'œuvre accomplie du 1ier Janvier 1903 au 31 Décembre 1929, Alger, imp. Algérienne .1929, 648 P1.

عسكرية ومدنية في نفس الوقت وإن كانت أقرب إلى العسكرية، لأن الإدارتين تتبعا لضباط الشؤون الأهلية.[1]

وتعتبر هذه السياسة التي اتبعتها فرنسا في أقاليم الجنوب منذ إحداثها، مميتة لها ببطء مستعملة في ذلك الإرهاب والقهر والطغيان بجميع إشكاله و صوره[2] ، فأصبحت الصحراء ثكنة كبيرة يخضع كل من بداخلها إلى قوانين عسكرية صارمة ، فكل حركة تخضع بإذن و كل تنقل يخضع بتصريح، مما جعل الحركة الوطنية بالشمال تدرك شدة وطأة هذا النظام على هذه المناطق ، ليكون من أهم مطالبها الأساسية منذ وقت مبكر هو إلغاء النظام العسكري بالجنوب.[3]

ومما يلاحظ أن أراضي الجنوب كان معترف بها كجزء لا يتجزأ من الجزائر، وأن الأحكام القانونية لم ترم إلى إقامة وحدة سياسية منفصلة عن الجزائر، وهذا ما يؤكد وحدة الأرض الجزائرية، فالضرائب والرسوم التي كانت تجبى في أراضي الجنوب شانها شان الضرائب المفروضة في جزء آخر من الجزائر .[4]

وفي حديثنا عن أهمية الصحراء لا يفوتنا إلى أن ننوه إلى أن الصحراء كانت تعتبر رهانا علميا وتكنولوجيا لكل من له علاقة بالجزائر ، حتى بعد وجود شركات أجنبية منافسة للشركات الفرنسية كالأمريكية و الأوربية ، وبدأ البحث عن البترول في الصحراء الجزائرية سنة 1941، و لقد قامت بهذه المهمة عدة مكاتب و شركات منها مكتب البحوث البترولية عام 1945 ، و الشركة القومية

1 محمد بن دارة، السياسة الفرنسية في الصحراء ما بين 1952-1962، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ الثورة، معهد التاريخ، الجزائر، 1998-1999 ص05.

2 قنان جمال، قضايا ودراسات، المرجع السابق، ص 151.

3 قنان جمال، نفس المرجع السابق، ص 153-154.

4 Bejaoui Mohammed, la révolution Algérienne et le droit, préface de pierre cot, bruxelles, ed, de l'association internationale des juristes démocrates, 1961, p ; p224-231.

للبحث عن البترول في الجزائر C.F.P.Aومكتب التنقيب عن المعادن في الجزائر في مارس 1948 ، والذي شمل نشاطه ولايات الواحات والساورة ، و في أواسط سنة 1951 أنشئت شركة البحث و إستغلال بترول الصحراء C R.P.S[1] وفي عام 1954 اكتشف الغاز الطبيعي لأول مرة في جبل برغة قرب عين صالح ثم اكتشف حقل البترول في مارس 1956 بمنطقة إيجلي، وبعد أسابيع قليلة اكتشف في منطقة تيفشورين وفي 12 جوان 1956 توجت الأبحاث في حاسي مسعود على بعد 800 كلم شرقي ورقلة بالنجاح حيث اكتشف على عمق 3300 م حقل هام للبترول تبلغ كثافته 140 م.[2]

وأمام هذه الاكتشافات للثروات الطبيعية في الصحراء الجزائرية تغيرت السياسة الفرنسية بشكل واضح ويبدو ذلك من خلال استراتيجيتها الجديدة التي حملت شعار "الصحراء الفرنسية" بدل "الجزائر الفرنسية" وهو ما سيكون له انعكاسات كبيرة على الصحراء وسكانها وهذا ما سنتطرق له في المحور الثاني في هذه المداخلة .

2- المساعي الفرنسية لفصل الصحراء :

- **التهيئة النفسية لسكان الصحراء من أجل تنفيذ عملية الفصل:**

إن مشروع فرنسا، ولا شك في هذا الإطار، يتوقف على مدى تبني واعتناق سكان الصحراء لهذا المشروع، ولذلك لم تتوانى فرنسا من أجل إعطاء هذا الجانب حقه من الاهتمام والدراسة فجعلت له سياسة خاصة تسعى من خلالها إلى أن يشعر ساكن الصحراء بالعامل الإيجابي لبقاء القوات الفرنسية في بلده أو منطقته

1 محمد لحسن زغيدي، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية – 1962 – 1956، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989 دار البعث قسنطينة ص277.

2 الصحراء الجزائرية مصدر رخاء وتقدم للجزائر والمغرب – جريدة المجاهد العدد 91-13 مارس 1961.

وقد اسند أمر تحقيق هذه المهمة إلى ضابط المكتب الثالث والخامس للجيش الفرنسي، وهو المكتب المكلف بالدعاية والحرب النفسية في إطار حرب التهدئة الموجهة للقضاء على الثورة الجزائرية.[1]

- **شبكة الدعاية والحرب النفسية بالصحراء:**

لقد آلت إدارة الاحتلال الفرنسي على نفسها الذهاب إلى أقصى نطاق في سياق السعي المحموم من أجل كسب رهان الحرب النفسية التي أضحت حديث الساعة وقت ذاك، نتيجة للأمل الكبير الذي علق عليها في إمكانية إحداث القفزة النوعية في عملية ضرب الثورة ببعضها، من خلال الرغبة في الوصول إلى إحداث القطيعة الجذرية بين الشعب والثورة من جهة، والعمل على زعزعة صف الثورة من الداخل.[2]

وفي ضوء ذلك ورغبة في تجسيد أهداف العسكريين والساسة الفرنسيين، رصدت إمكانات مادية كبيرة ما فتئت تنمو باضطراد بالتوازي مع امتداد وتوسع الثورة.

- **شبكة الاستقطاب والدعاية النفسية بين الشباب:**

وهي شبكة جسدتها مراكز التنشيط الاجتماعي، التي تم إنشاؤها أولا بالشمال بقرار 25أكتوبر 1955، ثم جرى تعميمها بالصحراء بقرار 09جوان 1959 وبمعدل مركز واحد في كل دائرة، أي بمجموع 15 مركزا بالعمالتين، وقد اسند لهذه المراكز مهمة اتخاذ وخلق وتنسيق ودعم جميع التدابير والمبادرات الكفيلة

1 El Moudjahid, Femmes et enfants algériens face à l'action psychologique n°27 du 22 juillet 1958, vol.1 p.p 42.43

2 شريط لخضر وآخرون، استراتيجية العدو الفرنسي لتصفية الثورة الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. ص314.

بضمان الترقية الاجتماعية والثقافية للسكان، وتحسين أوضاعهم المعيشية، وذلك عن طريق النشاط في المجالات التالية:

- الرعاية الصحية وتكوين الشباب في مجال الطب الاجتماعي للسكان.
- ضمان التكوين الأساسي، كالتكوين المهني "مراكز التمهين" ودراسة سوق التشغيل.
- الاعتناء بالشباب والرياضة، من خلال بث وتدعيم عدد من مراكز التكوين المهني، ونوادي الشباب والمخيمات الصيفية والنوادي الرياضية.
- ترقية المرأة من خلال دعم حركات التضامن النسوية، وتوسيع شبكاتها "النوادي-النسوة-المشاغل".
- الاهتمام بالسكن الريفي والنوادي الريفية.
- تنمية الصناعات الحرفية.
- تقديم المساعدة الاجتماعية للعسكريين من قدماء أفراد القوات النظامية والاحتياطية.
- التكفل بالمسائل المتعلقة بقدماء العمال والأشخاص المتقدمين في السن.

يشرف على كل مركز من هذه المراكز مشرف إداري، أو ضابط من ضباط الشؤون الصحراوية تساعده في مهامه لجنة استشارية متكونة من تسعة أعضاء، تضم ممثلين عن مختلف الهيئات، تجتمع هذه اللجنة الاستشارية مرة كل سنة لبحث القضايا والمسائل المختلفة للنوادي الاجتماعية وتوزيع الاعتمادات المالية عليها.[1]

- **شبكة الدعاية والنشاط البسيكولوجي بين الكبار[2]:**

وهي كالآتي:

1 محمد بن دارة، السياسة الفرنسية في الصحراء، نفس المرجع السابق، ص136.
2نفسه، ص 139-140

✓ مراكز الإشعاع: وهدفها الأول هو إعلام وتربية وتنظيم السكان، تسهر على تنشيط هذه المراكز خلية اتصال مكونة من ضابط ذو رتبة ومترجم ومنشطين عن النوادي الرياضية، وممثل عن فرقة الدرك وغالبا ما تكون هذه المراكز على مقربة من المدارس والنوادي لتسهل عليها عملية الاستقطاب والتأثير.

✓ مراكز تكوين مسؤولي الدفاع الذاتي: وكان عددها اثنين بالصحراء، مهمتها البحث عن زعامات مستقبلية محلية بين السكان والأهالي.

✓ جمعيات قدماء المحاربين: هي عبارة عن جمعيات مهنية للدفاع عن مصالح هذه الفئة، والهدف منها ربط فئة قدماء المحاربين –سواء كانوا أوروبيين أو أهالي–بالمؤسسة العسكرية وجعلها في حالة تأهب واتصال دائمين لخدمة فرنسا، وقد أعربت مجموعة من المحاربين القدامى الذين كانوا في استقبال الوزير المكلف بالصحراء "ماكس لوجون" عن ثقتها في فرنسا لتغير الوضع نحو الأحسن.[1]

ومن خلال ما سبق تتضح لنا شبكة الدعاية والنشاط السيكولوجي جلية، إذ كانت تحاصر السكان وتطوقهم وتعمل على تهيئتهم وإعدادهم لفصل قريب عن الجزائر، وقد انتشرت وتغلغلت بين فئات مختلفة من السكان وقد حرصت مصالح الدعاية والنشاط السيكولوجي لإنجاح نشاطها على استغلال وتوظيف جميع عناصر النجاح المتوفرة، بما في ذلك العنصر الأوروبي المتواجد بالصحراء، فمستقبل الصحراء في نظر الفرنسيين يتوقف أولا وأخيرا على مدى انخراط العنصر الأوروبي، وانضباطه ووحدة عمله لإنجاح هذا المشروع.

1A.W.O, Agence France presse,Sahara O.C.R.S, bulletin d'information bi-mensuel consacré au Sahara, édité par l'A.E.P, N°11, 10/10/57, P6 أرشيف ولاية وهران

- **مشروع الجمهورية الصحراوية:**

لقد سعت فرنسا من خلال مخططاتها إلى إعطاء الصحراء إطار سياسيا مستقلا ومتميزا عن ذلك الذي سيكون غدا للجزائر، وهو ما سعت إليه من خلال مشروع "الجمهورية الصحراوية" كما سنرى ذلك.

كما يمكننا القول بأن المصادر والمراجع التي رجعنا إليها في هذا الصدد بما في ذلك شهادة المجاهدين لا تفي بالغرض وهو تغطية الموضوع من زوايا عدة، بل تكتفي بالتعميم والإشارة فقط إلى هذه المناورة، لذلك فلن يكون هذا العنصر موضحا ومبينا للمناورة على حقيقتها، بقدر ما هو محاولة لجمع شتات هذا الموضوع، كما أننا لا ندري إن كان هذا المشروع "الجمهورية الصحراوية" حقيقة شغلت فرنسا أم مجرد مناورة لإرباك جبهة التحرير الوطني، وهو ما يبقي التاريخ كفيلا بالإجابة عنه.

ومهما يكن الأمر، فإن الشيء المؤكد هو أن نية فرنسا لفصل هذه المناطق سياسيا كانت أكيدة رغم أن مساعيها في هذا الاتجاه كانت سرية وغير رسمية[1]، وهذه المحاولات ابتدأت وتكاثفت من بداية سنة 1957، وتجسدت بزيارات لشخصيات وكبار المسؤولين في الحكومة الفرنسية إلى المنطقة[2] للقيام بمساعي مختلفة لجس النبض والبحث عن الشخصيات المحلية، والإتيان بأعوان توكل إليهم مهمة تنفيذ سياسة الفصل، وفي هذا الإطار تم تقديم عدد من العروض السياسية لعدد منهم، نذكر من بينهم "حمزة بوبكر"[3]، الشيخ "إبراهيم بيوض"[1]

1 محمد بن دارة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 145.

2 الزبير بوشلاغم، الثورة وقضايا أخرى بناحية غرداية، مجلة أول نوفمبر العددان 126-127 مارس، أبريل، ص 47.

3Achour Cheurfi, Mémoire algérienne, Dictionnaire biographique, Alger, Dahleb, 1996, 896, PP225

و"الباي أخا موخ" سلطان الهقار، وهي شخصيات لها وزن في مجتمعاتها التي تعتبر الأكثر من حيث الكثافة السكانية، كأولاد سيدي الشيخ، بني ميزاب، قبائل التوارق، وقد باءت كل هذه المخططات والمساعي بالفشل، ماعدا تلك المتعلقة بالمدعو –حمزة بوبكر– الذي تبنى هذا المشروع وأخذ يعمل على تحقيقه، وعرفت هذه المشاريع تطورا كبيرا باستلام الجنرال ديغول الحكم في 1958، فبعد تعيين "ميشال دوبري M.DEBRE" في منصب الوزير الأول، أرسله إلى الجزائر لدراسة أوضاعها عامة وأوضاع الصحراء خاصة، وكان الجنرال ديغول قد طلب دراسة ملف الصحراء رفقة مستشاره "اليفي قيشار Olivier GUICHARD"، وفي جويلية 1958 أجرى ديغول تعديلا في حكومته بتعيين "لويس جوكس L. JOXE" كاتب الدولة بمكتب الوزير الأول، وكلف "فيشار" بملف الصحراء فاتصل بالوزير المفوض المقيم بالجزائر "سوستيل Soustelle "، الذي زار في 12 جوان 1959 منطقة ميزاب لتفقد أوضاع الصحراء، ولقد قابل "أوليفي قيشار" بعض الشخصيات التي تتمتع بالنفوذ في أوساط المجتمع، وسبقت لها مواقف في قضايا الصحراء، كالشيخ بيوض، فوقع الاجتماع بمكتب رئيس الدائرة العسكرية بغرداية "الكولونيل "كلان كلاش" وهو رئيس بلدية غرداية فقال "قيشار" مخاطبا الشيخ بيوض: "إني مبعوث من طرف الرئيس الجمهوري ديغول للمفاوضة معك في شأن مستقبل الصحراء واستقلالها فهي تملك الموارد الضخمة من الغاز والبترول وهي متاخمة لموريطانيا الجمهورية الإسلامية، وأعرب عن استعداد فرنسا لتقديم العون اللازم لتجهيز الدولة. وأخبره أن خط ديغول الهاتفي مفتوح وهو ينتظر الجواب، وتوالت البعثات فكان هذه المرة دور رئيس الوزراء قيشار مرفوقا بالكولونيل الجزائري –علي مراد– من

1 الشيخ بيوض: ولد بالغرارة بتاريخ 1899/04/21، وبها نشأ وترعرع وهب حياته للعلم، فهو عضو بجمعية العلماء المسلمين، توفي في 1981/01/14، السياسة الفرنسية في الصحراء ما بين 52–62، محمد بن دارة، ص 145–146.

الأغواط إلى منطقة ميزاب في أكتوبر 1959، وعقد اجتماعا في قصر بلدية غرداية حضره نائب ميزاب في المجلس الجزائري، ونوابه في مجلس العمالة بورقلة، ورؤساء بلديات ميزاب السبع، فبذل الوفد محاولات يائسة عن إقناعهم بقبول فصل الصحراء عن الجزائر.[1]

وقد عبرت جريدة المجاهد، اللسان المركزي للثورة الجزائرية وجبهة التحرير الوطني عن حجم هذه الجريمة، وانفردت في توجيه أصابع الاتهام لهذا الكولونيل الجزائري، ووصفته بالخائن الذي باع نفسه للإدارة الفرنسية وبأنه يتحرك علنا للدفاع عن المصالح الاستعمارية وعميل للأوساط المالية الفرنسية وغلاة المعمرين...[2]، كما تحدثت الجريدة عن مختلف المساعي التي قام بها هذا الأخير بداية من 1959 سعيا للإعلان عما سمي بالجمهورية الصحراوية المستقلة من خلال اجتماعاته بالأعيان في كل من الأغواط وورقلة في خريف 1960، ثم سانت أوجان بضواحي العاصمة وأخيرا بورقلة في أفريل 1961 وما رافق ذلك من أساليب مختلفة للضغط والتهديد[3] مارستها الإدارة الاستعمارية على الأعيان والسكان، وأخيرا قيامه بزيارة إلى النيجر في 1961/12/04 رفقة ماكس لوجان الذي قدمه إلى الرئيس النيجيري على أنه ممثلا لسكان الصحراء وكيف رفض هذا الأخير ما عرض عليه من أمر الجمهورية الصحراوية المستقلة قائلا: "لن أعين أبدا وبأي شكل على خلق كطنغا صحراوية"[4]، ويشير الشيخ بيوض أنه تلقى دعوة من

---

1 الحاج موسى بن عمر، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، 1945/1962، منطقة ميزاب نموذجا، مذكرة نهاية السنة الثانية ماجستير معهد التاريخ-1992/1993، ص 51-52.

2 Elmoudjahid, « Les agissement de Boubaker », N° 89, Janvier , 1962, vol3, P666-668.

3 تقرير الملتقى الجهوي الثاني لكتابة تاريخ ثورة نوفمبر 1954 (للولاية السادسة) – المنعقد بمدينة بسكرة 5-6 فيفري1958 المنظمة الوطنية للمجاهدين.

4المرجع السابق

السيد حمزة بوبكر للاجتماع به في الأغواط، حيث تحدث مباشرة حول قضية الصحراء، وحول هذا الاجتماع يقول الشيخ بيوض: "وكان في حديثه غموض ولف ودوران، فصارحته بالحقيقة التي لا محيد عنها، إننا جزائريون ومصيرنا هو مصير الجزائر وكفى، لا نبغ بذلك مثيلا مهما كان الثمن، وعلمت أنه اجتمع بآخرين، لكنني لم أعلم ما دار بينهم فعدت أدراجي لميزاب وتركتهم بالأغواط".[1]

ومنذ ربيع 1960، عقدت اجتماعات سرية بين المسؤولين العسكريين والمدنيين والأعيان حول فكرة فصل الصحراء عن الجزائر، وفي خريف 1960 انعقدت دورة المجلس العمالي في ورقلة، وفي غضون أشغال الدورة، أعلن رئيس المجلس حمزة بوبكر أن جلسة المساء ستكون مغلقة، اجتمع النواب المسلمون والفرنسيون في الوقت المحدد وافتتح الكلام رئيس المجلس وكشف عن اللقاء بالجنرال ديغول وما جرى بينهما من حديث حول الصحراء، ثم طلب رأي النواب وحسم الشيخ بيوض الموقف[2]، بقوله: "أرى ان فرنسا لم تكن تستشيرنا في سياستها في هذه البلاد، ولم تستشيرنا يوم قطعت الصحراء، وجعلت لها نظام التراب الجنوبي وتتحكم كما تريد، بل أكثر من هذا كنا نطلب أشياء من حقنا ونرفع أصواتنا بها فلا سمعتنا حتى في تطبيق قوانين سنتها هي، لا أنت أيها الرئيس ولا أنا ولا أحد من النواب يملك أكثر من بطاقة استفتاء يلقيها يوم الاستفتاء."[3]

وقد استمر حمزة بوبكر في لقاءاته وخدمته المجانية للمستعمر، فعقد لقاء في أفريل 1961 ضم 54 شخصية من أعيان الصحراء، واستعان هذه المرة بالشرطة الفرنسية لإجبارهم على الحضور وتم الاجتماع في بيت والي الواحات بورقلة لكنه

1 الشيخ بيوض، أعمالي في الثورة نشر جمعية التراث بالقرارة- غرداية، 1990، ص 34.
2 فصل الصحراء في السياسة الإستعمارية، ص 50.
3 المرجع السابق، ص 51.

فشل[1]، يؤكد الشيخ بيوض أن أساليبهم كانت مختلفة في الإقناع في عرض القضية وطلب الرأي بفائدة انفصال الصحراء عن الجزائر، وجعلها جمهورية مستقلة تجمعها فرنسا وتحتضنها إلى غير ذلك[2].

أما الشخصية الأخرى التي كانت محل اهتمام القادة الفرنسيين العسكريين منهم والمدنيين هي شخصية "أخاموخ" الذي تلقى عرضا من ديغول مباشرة سنة 1958، وتضمن هذا العرض منح الاستقلال لمنطقة التوارق. والتي تشمل منطقة الهقار حتى الحدود الليبية شرقا، بالإضافة إلى المناطق الشمالية الأهلية بسكان التوارق لكل من مالي والنيجر[3]، وفي هذا الصدد اجتمع "ميشال دوبري" في تمنراست 1960، وجاء بأعيان التوارق من مالي وتشاد والنيجر، ودام اللقاء أسبوعا كاملا، وعرض على الباي الحاج أخاموخ تنصيبه سلطانا على كل التوارق في دولة إسلامية تضم كل الجنوب الجزائري، فرفض بقوله: "أنا جزائري ينال ما ينال باقي الجزائريين".[4]

وقد تلقى "أخاموخ" عرضا ثانيا بعد أن يأس ديغول من مسعاه الأول ودعاه إلى باريس لحضور احتفالات العيد الوطني الفرنسي بتاريخ 14 جويلية 1960، وبعد أن قدم أخاموخ على رأس وفد من التوارق وحضر الاحتفال والعروض العسكرية، استقبل من طرف الوزير الأول "ميشال ديبري" وعرض عليه هذا الأخير العرض السالف الذكر، عرض فيه لهجة المساومة والتهديد ولكن جواب

---

1 درواز الهادي، الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع، 1954-1962، دار هومة، الجزائر، 2002، ص 132.

2 الشيخ بيوض، أعمالي، ص 38.

3 MohamedGuentari, organisation politico-administrative et militaire de la révolution algérienne de 1957-1962 alger, o.p.u, 1994, 2vol, 949, PP678.

4 بوشارب عبد السلام، الهقار أمجاد وأنجاد، نشر المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص 143.

أخاموخ كان "نحن جزء من الجزائر وهي مستعمرة وسنبقى جزء منها عندما نستقل".[1]

وكان ديغول في تصور المستقبل السياسي للصحراء، ينطلق من مقاطعة ثالثة بالصحراء، تضاف إلى مقاطعتين أخريتين يتم إنشاؤهما بالجزائر الشمالية هما: مقاطعة غربية خاصة بالأوروبيين والمسلمين الموالين لفرنسا، ومقاطعة شرقية خاصة بالمسلمين الجزائريين الموالين لجبهة التحرير الوطني، حيث تتمتع كل مقاطعة من المقاطعات الثلاث بالاستقلالية الذاتية، لأنها في نفس الوقت تتعاون فيما بينها مع فرنسا في إطار اتحاد فيدرالي من جهة أخرى، كما أنه يحذر من عدم تعاون مقاطعة جبهة التحرير الوطني مع هذه المقاطعات لأنها ستكون حينئذ قد جنت على نفسها، وحينها يشرع في تقسيم وتجزئة الجزائر تجزئة سياسية حيث تكون هناك "جمهورية صحراوية" جنبا إلى جنب مع جمهورية الجزائر الخاصة بالأوروبيين والمسلمين الموالين لفرنسا، وتحصل هاتان الأخريتان على الاعتراف من طرف الأمم المتحدة وتنالان العضوية فيها على غرار مالي وموريتانيا والسنغال.

لكن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هل كانت هذه المؤامرة لفصل الصحراء مناورة أم حقيقة، وهل كان بمقدور فرنسا الاحتفاظ بالصحراء؟

يرى البعض أن ديغول حين أعلن عن فكرة التجزئة كان يهدف إلى مناورة سياسية للضغط على جبهة التحرير الوطني بعد فشل مفاوضات "لوغران".

وأن أهم رأي نسجله في هذا الصدد رأي السياسي والكاتب الفرنسي "ألان بيارفيت"[2] وهو مقرب من الرئيس ديغول، حيث قال له هذا الأخير في شهر

---

1 محمد بن دارة، السياسة الفرنسية في الصحراء، ما بين 52-62، ص 148.

2 آلانبيارفيت: سياسي وكاتب فرنسي ولد سنة 1925، نائب في البرلمان الفرنسي وتولى الوزارة وله عدة مؤلفات.

جويلية 1961: "أنت الذي تكتب، لماذا لا تعمق هذا الحل أي التجزئة في مقالات صحفية؟[1] وهو ما كان فعلا إذ نشر مقالا في هذا المسعى بتاريخ 04 أوت 1961 بالصحيفة الفرنسية وبعد هذا ذكر صاحب المقال بأن جورج بومبيدو .G Pompidouاتصل به وأخبره بموافقة الجنرال ديغول على ما كتبه، ويتمنى أن يقوم بعمل أهم، واقترح عليه كتابة مجموعة من المقالات في نفس الموضوع بجريدة « Le monde ».[2]

نكتفي من خلال هذا العرض بالقول أن هناك على الأقل نية من طرف ديغول للمضي في هذا الهدف وهو التجزئة، لكن هناك طرف آخر من السياسيين والكتاب يرون أن هذه المؤامرة لم تكن سوى مناورة من ديغول، حيث لا يقتنع بها هو في قرارة نفسه، وما يمكننا قوله هو أن المشروع طرح بقوة وفرض نفسه على الساحة السياسية والعسكرية سواء تعلق الأمر بالسلطات الاستعمارية الفرنسية أو بجبهة التحرير الوطني وسنتعرف في المحور الأخير من هذه المداخلة على موقف سكان الصحراء وكيفية تصديهم لهذه المؤامرة.

3- موقف سكان الصحراء من السياسة الفرنسية:

لقد أدى تطور الثورة الجزائرية وموقفها الرافض للفصل، إلى التسليم بضرورة أنّ أي حل سلمي للقضية الجزائرية لا يكون إلاّ عن طريق المفاوضات مع الحكومة المؤقتة، وكان هذا الضغط كذلك من الثورة، وراء تراجع الحكومة الفرنسية عن فكرة التقسيم، وبدأ الاعتراف بالسيادة الشعبية على الصحراء، وتأجيل التفاوض حول ملف التعاون بعد تقرير المصير.

---

1 محمد بن دارة، السياسة الفرنسية، المرجع السابق، ص 149.

2 لموند جريدة يومية ظهرت في باريس منذ 18 ديسمبر 1944، وهي يومية حرة تميل نحو اليسار.

أما عن سياسة الجبهة فقد كان لمجهود الثورة الجزائرية في الصحراء نتائج باهرة على المستوى الشعبي العام، توجت بذلك التجاوب الواسع والكبير الذي لقيه إعلان الحكومة المؤقتة، في جعل يوم 05 جويلية يوما وطنيا ضد التقسيم، إذ خرج سكان الصحراء في مظاهرات عارمة مطالبة بالصحراء الجزائرية والوحدة الوطنية، وكان أشهر هذه المظاهرات مظاهرات مدينة غرداية في شهر سبتمبر 1960، ومظاهرة تقرت 1961، ومظاهرة ورقلة 1962/10/28، والتي أرغمت فيها الجماهير وزير فرنسا المكلف بالصحراء على العودة من حيث أتى بعدما كان يعزم الاجتماع بجماعة حمزة بوبكر.[1]

ولم تقتصر المظاهرات على المدن الجنوبية، بل تعدتها لتشمل الشمال، وقد اعترفت الصحف الفرنسية بأن الإضراب كان عاما في كل مدينة وقرية بنسبة 100٪. واعترفت بأن الجبهة نجحت في أهدافها التي قصدتها من جعل يوم 05 جويلية يوما وطنيا ضد التقسيم.[2]

ومن خلال هذا يتبين لنا حجم التعبئة التي قامت بها الثورة، والتي كانت واسعة النطاق، وشملت جميع الشرائح الاجتماعية، بما فيها الفعاليات والشخصيات المحلية والدينية، وتوعيتها بمخاطر التقسيم، والهدف من وراء المشاريع الاستعمارية.

وما يمكننا قوله كذلك في هذا المحور من هذه المداخلة هو أن الثورة وجدت لها في نفوس أهل الصحراء مكانا، وأرضا خصبة لها وذلك من خلال تفاعلهم معها، وكذلك نتيجة الوعي القومي والثوري الذي وجد منذ أمد بعيد بفضل الحركة الوطنية بمختلف تنظيماتها السياسية وخاصة حركة الانتصار للحريات

1 التقرير الجهوي للولاية السادسة بسكرة، 1959-1962.

2 الغالي الغربي، السياسة الفرنسية لفصل الصحراء وردود الفعل، ص 271: فصل الصحراء، أنظر كذلك المجاهد 1967/07/17

الديمقراطية التي طال تنظيمها جميع المدن الصحراوية مثل الوادي وورقلة وغرداية والمنيعة ومتليلي وغيرها بما في ذلك تندوف.[1]

كما أنه حتى المجندين من الأهالي في فرق ما كان يعرف "بالمهاري"[2] التي أنشأتها فرنسا من أجل بسط سيطرتها على الصحراء وسكانها بشكل أكبر، أصبحوا خطرا على فرنسا وقواتها في كثير من الأحيان لأنهم كانت لهم عمليات انقلاب كبدت قوات الاستعمار العديد من الخسائر، كما يحكي ذلك الجنرال بيجار نفسه في أن مجموعة من المهاريين التحقوا بالثورة وقتلوا سبعين شخصا بين إطار وضابط وأخذوا الأسلحة والجمال.[3]

وقد كان هذا التغير في سلوك الأهالي المجندين في فرق المهاري الصحراوية يسجل حضوره منذ سنة 1943 أي بعد هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية، وكذلك ما يمكننا الإشارة إليه في هذا الموضوع أن الشعابنة[4] ظلوا ولفترة طويلة يمثلون أهم العناصر المجندة بفرق المهاري والقوة الضاربة لها بعد أن أحكمت قبضتها على الصحراء وكان لهم الفضل في ذلك بعد أن استغلت فرنسا فيهم معارفهم الفطرية والمكتسبة في معرفة أسرار الصحراء ومعرفة مسالكها وكيفية

1M. Guentari, vol2, P694-695.

2 فرق المهاري الصحراوية Compagnies Meharistes sahariennes تم إنشاؤها بمرسوم 01 أفريل 1902 بمبادرة من لابرين Laperrine وكان مبدأ إنشائها يقوم في جوهره على ما يلي: إسناد مهمة إقرار الأمن بالصحراء إلى وحدات عسكرية تتمتع بالكفاءة والفعالية العالية وقلة النفقات، يتم تجنيد عناصرها من البدو المتواجدين بعين المكان، تعهد إليهم مهمة التكفل بأنفسهم من لباس ومؤونة وراحلة وكان عددها في بداية الأمر ثلاثة، واحدة في إقليم تيديكلت وأخرى في إقليم توات وثالثة في قورارة.

3 Crier Ma vérité, Bigeard, P 160

4 الشعابنة: مهدهم متليلي– حوالي أربعين كلم جنوب غرب مدينة غرداية، ومنها انتشروا بكل من غرداية والمنيعة وورقلة، كما توجد أعداد منهم بكل من واد سوف، والساورة بناحية بشار، وإقليم توات وتمنراست، وحتى بمالي والنيجر.

الاهتداء فيها وكيفية السفر بالجمال إلى غير ذلك من الخصائص الأخرى التي تتعلق بالروح البدوية الصحراوية، لكنهم ورغم هذا كانوا السباقين لتلبية نداء الجهاد ولهم في هذا المجال صفحات مشرفة على غرار ما حدث في ثورة أولاد سيدي الشيخ وبوعمامة، وقد ساهموا في انتشار الثورة في كافة ربوع الصحراء لمعرفتهم بها كما أشرنا سابقا.[1]

وحسب التقرير الجهوي الثاني لكتابة تاريخ ثورة نوفمبر 1954 للولاية السادسة أن مجموعة من المجاهدين يرأسها محمد مزيان كلفت بالتوجه إلى أقصى الجنوب بهدف دعم التنظيم السياسي والعسكري بوادي ميزاب ومتليلي والمنيعة وعين صالح وتامنغاست، وكانت من أهم مهامها جمع السلاح والتنظيم الشعبي والفدائي كان ذلك في أول أكتوبر 1956 وعلى أساس التوجيهات والتعليمات المكتوبة للقائد سي الحواس باشرت عملها ابتداء من بريان والقرارة وغرداية ومتليلي.[2]

وقد كانت المجموعات تنطلق من متليلي أساسا التي كان إقبال مناضليها على الثورة إقبالا حماسيا ثم شمل بعد ذلك هذا النشاط كل قصور غرداية، وهو ما تم كذلك في المنيعة وعين صالح وتامنغاست، حيث توجت الاتصالات بالنجاح والتوفيق، وذلك لأن عامل طبيعة نشاط السكان كتجار بصفة عامة جعلهم متواجدين عبر التراب الصحراوي، كما أن صلة القرابة سمحت لهذه المجموعات أن تتصل بالشعب بهذه المدن بطريقة منهجية تصب على أساسها التنظيم المناسب، ووصل بنسبة كبيرة تنصيب اللجان في بريان والقرارة وغرداية ومتليلي والمنيعة أما بناحية وادي سوف فيقدم لنا كل من العمارة سعد وعون علي تسجيلا ب11 معركة وحادث وقع بالقرب من العمران، و16 ما بين معركة وحادث وقعت على

1 El moudjahid, N° 40- 24 Avril 1959, vol2, P 233.
2 التقرير الجهوي لكتابة التاريخ بسكرة، 1985.

الحدود الجزائرية الليبية[1]، لكن في عين صالح وتامنغاست كان الأمر صعبا نظرا للسيطرة المطلقة للسلطات الاستعمارية من جهة إنعزال المنطقة عن باقي المدن الأخرى من جهة أخرى، وللعلم فإن هذه المرحلة الأولى لنشاط الثورة لم تسمح بإقامة فرق الجيش وذلك للأسباب التالية:[2]

- الوسط الطبيعي التضاريسي وتباعد المناطق الآهلة بالسكان، يجعلان من الصعب إقامة فرق مسلحة زيادة على صعوبة التموين.
- التواجد العسكري المكثف في هذه المنطقة سرعان ما ينكشف، لذلك عملت الجبهة بإستراتيجية العمل الفدائي وهذا لإثبات وجود الثورة والتدليل على أن أهل الجنوب مستعدون لبذل أرواحهم بنفس الحماس والتضحية التي برهن عليها إخوانهم في الشمال.

4-إنشاء الجبهة الجنوبية بأقصى الصحراء وتفاعل السكان معها:

بقي العمل الثوري في الأساس مسند إلى تنظيمات شعبية وفرق فدائية تقض مضاجع الاحتلال وتثبت التواجد العملي للثورة، وتعد سنة 1957 سنة هامة وحاسمة في مشاركة السكان الصحراويين في الثورة، وتميزت بتزايد أعداد المنخرطين منهم بها وتكثيفهم للعمليات العسكرية التي اتسع نطاقها لتشمل كل من متليلي وغرداية وورقلة، والتحقت أعداد منهم بكل من المنطقة الثالثة والأولى وأعداد أخرى بجبال القعدة وجبال العمور بناحية آفلو والبيض.[3]

---

1 العمارة سعد وعون علي، معارك وحوادث حرب التحرير بمنطقة وادي سوف، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988، ص 7-8.

2 فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية، سلسلة الدراسات والبحوث، ص 86.

3 بعد معركة أفرانة التي وقعت مع القوات الفرنسية بشبكة متليلي سنة 1957، تعرض التنظيم الثوري بالمنطقة لبعض الهزات، التحق ما يقارب 111 مجاهد بناحية البيض (منهم 75 مجاهد

وقد نجحت جبهة التحرير الوطني في التصدي للمخططات الفرنسية من الناحية النفسية والعسكرية إلى حد ما[1]، وكان الشعابنة أول من ساهم في إنشاء الجبهة الصحراوية بأقصى الجنوب حيث انطلقت منهم أول وحدة لجيش التحرير مكونة من 35 مجاهدا نحو تامنغست في أوائل 1957. وهذا دون أن ننسى نشاطهم الثوري الآخر الذي كان وراء فرار أعداد هامة من المجاهدين المجندين في فرق المهاري كما أشرنا سلفا من "شعابنة" و"توارق" و"رقيبات".

وتعتبر موقعة "حاسي صاكة" من أشهر المعارك في هذا الصدد حيث تم التحضير والتخطيط لها أكثر من أربعة أشهر، وحاسي صاكة هو بئر يقع شرق مدينة تيميمون على بعد حوالي 90كلم، و35 كلم على تينركوك وكانت المعركة يوم الثلاثاء 01 أكتوبر 1957 شارك فيها عدد من الفارين والمتمردين من الجيش الفرنسي من أبناء المنطقة، والذين نفذوا العملية بنجاح وفق الخطة المعرفة[2]. وتمكنوا من الفرار نحو توات وعددهم 69 من المحاربين وقتلوا 08 ضباط فرنسيين وتحصلوا على 130 قطعة من السلاح من عيارات مختلفة منها: (3 رشاشات عيار 24 ملم - رشاش عيار 12/49 - 12 مسدسا من مختلف العيارات، 15 قنبلة، كمية كبيرة من الخراطيش (حوالي 08 صناديق) -3 ملايين فرنك-حوالي 250 جمل- كمية من الألبسة و05 أجهزة راديو للاتصال).[3]

من متليلي و36 مجاهد من المنيعة: أنظر التقرير المقدم لندوة الجهوية لكتابة تاريخ الثورة لفترة ما بين 1956-1958 للولاية السادسة، جانفي 1958.

146- C-N-A N° DZ/AN/2G/011/01/014, Boite11, المركز الوطني للأرشيف

2 مولاي عمر الطيب، مداخلة في التعريف بمعارك العرق الغربي الكبير تيميمون، المنطقة الثالثة، الناحية الثالثة للولاية الخامسة التاريخية.

3 نفس المرجع السابق، أنظر كذلك علي العياشي (معركة حاسي صاكة) مجلة أول نوفمبر، عدد 77، 1986، ص ص 20-23.

وأثناء مقارتنا للنتائج في هذه المعركة بين مختلف المصادر فقد وجدنا اختلافا طفيفا بين المصادر الجزائرية خاصة ما يتعلق بالتقارير وأرشيف الولايات، أما في المصادر الفرنسية فإن الأمر يختلف كثيرا وهذا طبيعي لأن الاستعمار ومن كتب له لا يريدون تصويره بهذه الحالة التي تجعله ضعيفا أمام الثورة وصمود أهلها رغم عدته وعتاده.[1]

وللإشارة فقد كانت منطقة تيميمون مهيأة للثورة كباقي أنحاء الوطن لتقوم بالدور المنوط بها، وقد تجلى ذلك منذ البداية في جمع المؤونة وكانت المنطقة في أول الأمر قاعدة خلفية للولاية الخامسة[2]. ومن أهم المراكز التي ساعدت على إمداد الثورة بالزاد والمؤونة: -مركز "حاسي وسكير" -ومركز "حاسي الفقرة"- "وحاسي بوخلالة"، و"حاسي تسلقة".[3]

وأما عن ثوار الهقار وعاصمتهم تمنغاست، نجدهم منذ 1957 أي بعد زيارة الأخوين محمد جغابة ومحمد شروف، قد شكلوا تنظيما للثورة بمنطقتهم، استطاع تجنيد ما يزيد عن مائتي رجل منهم بجيش التحرير.[4]

أما عن توارق الآجار بمنطقة "جانت"، فقد شاركوا كذلك بدورهم في الثورة، وانقادوا من كامل وجودهم في الحدود الليبية الجزائرية وتقوية جيش التحرير بها "الجبهة الليبية" وانخراط عدد منهم في جيش التحرير، وساهموا من

1 Crier ma vérité, Bigeard, France, ed 2002, P236, P160 Combats sahariens, P 62.

2 مديرية المجاهدين لولاية درار الملتقى التاريخي الخاص بمعارك العرق الكبير، تيميمون في 21-22 ديسمبر 1997.

3 حوتية محمد صالح، مداخلة للتعريف بمعارك العرق الغربي الكبير، الملتقى التاريخي الخاص بمعارك العرق الكبير، تيميمون في 21-22 ديسمبر 1997.

4 M. Guentari, vol2, PP 67-675.

ليبيا في انطلاق عدة عمليات عسكرية استهدفت مراكز اقتصادية وعسكرية للعدو، المتواجدة على مقربة من حدود البلدين.[1]

كما وقف بنو ميزاب (من جماعة الإباضية) بدورهم موقفا مناهضا للسياسة الفرنسية محصنين باستقلاليتهم وخصوصيتهم الاجتماعية والثقافية، وقد مكّنهم هذا من تحقيق جملة من المكاسب كالاستقلال في تسيير مؤسساتهم الدينية والاجتماعية، حرية تعليمهم الديني، الإعفاء من التجنيد الإجباري، وهي مكاسب لا خلاف في أهميتها خاصة في منطقة تخضع لحكم عسكري.[2]

ولا يمكننا صرف النظر عن طبيعة بني ميزاب أو المجتمع الإباضي الذي هو مجتمع "الجماعة"، فلا صوت يعلو على صوتها، ولا مجال للمبادرات الفردية ولذلك وجدت الثورة صعوبة للوصول إلى قلب هذه المنطقة ذلك أن موضوع اعتناق الثورة والانخراط فيها يصبح عندئذ موضوع قناعة عامة هي قناعة الجماعة خلافا لما يحدث في المناطق الأخرى.[3]

مع أن هذا لا يقلل من شأنهم في دفع مسيرة الثورة، فلقد كانت لهم إسهامات عديدة ومواقف مشرفة.

وفي الأخير إن تركيزنا على هذه القبائل والعناصر السكانية لا يعني إغفال باقي المناطق الأخرى كتقرت والوادي وبشار وعين صالح وتوات[4]، فقد كانت

1 A.W.O .A.F.P, Sahara O.C.R.S, « la rébellion algérienne au pays Touareg 25/10/1997, PP 5-16 أرشيف ولاية وهران

2 محمد بن دارة، المرجع السابق، ص 209.

3 الزبير بوشلاغم، المقال السابق، ص 43.

4 أنظر تواتي دحمان وآخرون، الثورة التحريرية في أقاليم توات، 1962/1956، منشورات جمعية مولاي سليسن بن علي، الجزائر، 2004.

هذه المناطق كلها ثائرة ضد الاستعمار على غرار معركة الشوابير بالأغواط سنة 1956، وكان عدد المجاهدين يناهز فيها 400 مجاهد.[1]

أما عن اللجان المدنية فقد أدت دورها على أكمل وجه وتحملت مسؤولياتها، وهكذا كان للمراكز المدنية والعسكرية للجبهة الجنوبية فضل في نشر الثورة التحريرية وتعميم نظامها في إقليمي توات وتمنراست[2]وقد توزعت مسؤولية قادة الجبهة الجنوبية على النحو التالي[3]:

عبد العزيز بوتفليقة: قائدا سياسيا وعسكريا على المنطقة.

عبد الله بلهوشات: عضو قيادة المنطقة مكلف بالشؤون العسكرية.

محمد شريف مساعدية: عضو قيادة المنطقة مكلف بالشؤون السياسية.

أحمد دراية: عضو قيادة المنطقة مكلف بالاتصالات والأخبار.

عيساني شويش: مسؤول مصلحة التموين.

بشير نور الدين: مسؤول مصلحة الصحة.

لقد حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على مواقف سكان الصحراء التي عرفتها ربوع الولاية السادسة حتى سنة 1962م في مجابهتها للسياسة الفرنسية ومشاريعها في الصحراء التي تعدّدت أشكالها، ورغم ذلك فشلت في بلوغ أهدافها، بفضل ما قام به أولئك الأبطال المجاهدين الشرفاء، الذين بفضل إيمانهم بقضيتهم العادلة رفعوا مشعل العمل الثوري في المناطق الصحراوية، وأفشلوا مخططات الاستدمار ورفعوا لواء الصمود رغم كل الصعوبات والتحديات وقهروا المحتل ودحروه عن أرضهم.

---

1 ابن حرز الله شارف، دورمنظمة الأغواط في الثورة الجزائرية، 1954-1962، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2003-2004، ص 80.

2 جمال يحياوي، تطور جيس التحرير الوطني 1956-1962، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، قسم التاريخ، ص 325.

3 نفسه، ص 318.